obeikandl.com

obeikandl.com

النفخ في الصور

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

نلحظ في هذه الآية أمرين:

الأول: أن الله سبحانه وتعالى استثنى من الصاعقة التي ستحدث في الآخرة، فكأن هناك من لن تصيبهم الصاعقة!

الثاني: قُدِّم النظر في هذه الآية على السمع، وهذه هي المرة الوحيدة في القرآن الكريم التي قدم فيها النظر على السمع، فالله سبحانه وتعالى في كل آيات القرآن التي تحدثت عن السمع والبصر كان يأتي بالسمع قبل البصر كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [النحل: ٧٨]. ولكن في هذه الآية وحدها قدم سبحانه النظر على السمع.

إن الاستثناء في آية الصاعقة سببه أن هناك من خلق الله تعالى من صعقوا من قبل، والله تعالى أرحم وألطف وأعدل من أن يجمع على بعض خلقه صعقتين، والبعض الآخر صعقة واحدة.

ولذلك فكل من أصيبوا بالصاعقة من قبل فلن يصابوا بالصاعقة مرة أخرى، فمثلاً موسى عليه السلام صعق في الدنيا عندما طلب أن يرى الله جهرة، مصداقاً لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ولذلك فإن موسى لن يصاب بالصاعقة مرة أخرى، وكذلك الجبل الذي تجلى له الله سبحانه وتعالى فأصيب بالصاعقة فكان ﴿دَكًّا﴾، وكذلك أولئك النفر من قوم موسى الذين صعقوا قبل ذلك، وقال عنهم القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة].

وهناك من أخذتهم الصاعقة من قوم عاد وثمود، فهؤلاء أصابتهم الصاعقة، ولذلك فإن كل من صعقوا لن تصيبهم الصاعقة مرة أخرى، وهذا المعنى هو ما نفهمه من قول الحق: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[1]. على أن ذلك لا يعني أنه ليس لله

(١) قال القرطبي: واختلف العلماء في المستثنى: من هو؟ فقيل الملائكة. وقيل الأنبياء. وقيل الشهداء واختاره الحليمي، قال: وهو مروي عن ابن عباس أن الاستثناء لأجل الشهداء. فإن الله تعالى يقول: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وضعف غيره من الأقوال على ما يأتي، وقال شيخنا أبو العباس: والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح، والكل محتمل.
قلت ـ أي القرطبي ـ: قد ورد حديث أبي هريرة بأنهم الشهداء، وهو الصحيح.
وأسند النحاس في كتاب معاني القرآن له عن سعيد بن جبير في قول الله عز وجل: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قال: هم الشهداء، هم ثنية الله عز وجل متقلدو السيوف حول العرش.
وقال الحسن: استثنى طوائف من الملائكة يموتون بين النفختين. قال يحيى بن سلام في تفسيره: بلغني أن آخر من يبقى منهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. ثم يموت جبريل وميكائيل وإسرافيل. ثم يقول الله عز وجل لملك الموت:
مت فيموت. وقد جاء هذا مرفوعاً في حديث أبي هريرة الطويل على ما يأتي.
وقيل: هم حملة العرش، وجبريل، وميكائيل، وملك الموت. وقال الحليمي: من زعم أن الاستثناء لأجل حملة العرش أو جبريل وميكائيل وملك الموت، أو زعم أنه لأجل الولدان والحور العين في الجنة، أو زعم أنه لأجل موسى فإن النبي ﷺ قال: «أنا أولُ من تنشقُّ عنه الأرضُ فأرفع رأسي فإذا موسى متعلقٌ بقائمةٍ من قوائم العرشِ، فلا أدري أفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله عز وجل؟»[1] فإنه لم يصح شيء منها.
أما الأول: فإن حملة العرش ليسوا من سكان السموات والأرض لأن العرش فوق السموات كلها فكيف يكون حملته في السموات؟
وأما جبريل وميكائيل وملك الموت فمن الصافّين المسبحين حول العرش. وإذا كان العرش فوق السموات لم يكن الاصطفاف حوله في السموات.
وكذلك القول الثاني لأن الولدان والحور في الجنة. والجنات؛ وإن كان بعضها أرفع من بعض فإن جميعها فوق السموات ودون العرش، وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقاء، فلاشك أنها بمعزل عما خلق الله تعالى للفناء.
وصرفه إلى موسى فلا وجه له لأنه قد مات بالحقيقة فلا يموت عند نفخ الصور ثانية ولهذا لم يعتد في ذكر اختلاف المتأولين في الاستثناء بقول من قال: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، أي:

(١) أخرج مسلم [٢٣٧٣/ ١٦٠] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «.. لا تخيرونى على موسى فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق. فإذا موسى باطش بجانب العرش. فلا أدرى أكان فيمن صعق فأفاق قبلى أم كان ممن استثنى الله».

سبحانه وتعالى طلاقة القدرة، فالله له طلاقة القدرة يفعل ما يشاء متى شاء.

= الذين سبق موتهم قبل نفخ الصور. لأن الاستثناء إنما يكون لمن يمكن دخوله في الجملة فأما من لا يمكن دخوله في الجملة فيها فلا معنى لاستثنائه منها، والذين ماتوا قبل نفخ الصور ليسوا بغرض أن يصعقوا. فلا وجه لاستثنائهم. وهذا في موسى موجود فلا وجه لاستثنائه.

وقال النبي ﷺ في ذكر موسى ما يعارض الرواية الأولى وهو أن قال: «الناسُ يُصعقون يوم القيامةِ فأكون أول من يفيق. فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائم العرش. فلا أدري أفاق قبلي أو جُوزيَ بصعقةِ الطور؟»[1] فظاهر هذا الحديث: أن هذه صعقة غشي تكون يوم القيامة لا صعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور.

وصرف ذكر يوم القيامة إلى أنه أراد أوائله قيل: المعنى: أن الصور إذا نفخ فيه أخرى كنت أول من يرفع رأسه، فإذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أو جُوزي بصعقة الطور؟ أي فلا أدري أبعثه قبلي كان وهباً له وتفضيلاً من هذا الوجه كما فُضل في الدنيا بالتكليم، أو كان جزاء له بصعقة الطور؛ أي قدم بعثه على بعث الأنبياء الآخرين بقدر صعقته عندما تجلى ربه للجبل إلى أن أفاق ليكون هذا جزاء له بها. وما عدا هذا فلا يثبت.

قال شيخنا أحمد بن عمر: وظاهر حديث النبي ﷺ يدل على أن ذلك إنما هو بعد النفخة الثانية؛ نفخة البعث ونص القرآن يقتضي أن ذلك الاستثناء إنما هو بعد نفخة الصعق. ولما كان هذا قال بعض العلماء: يحتمل أن يكون موسى عليه السلام، ممن لم يمت من الأنبياء وهذا باطل بما تقدم من ذكر موته.

وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون المراد بهذه صعقة فزع بعد النشر حين تنشق السموات والأرض، قال: فتستقل الأحاديث والآيات والله أعلم.

قال شيخنا أبو العباس وهذا يرده ما جاء في الحديث أنه عليه السلام حين يخرج من قبره يلقى موسى وهو متعلق بالعرش وهذا إنما هو عند نفخة البعث.

قال شيخنا أحمد بن عمر: والذي يزيح هذا الإشكال . إن شاء الله تعالى: أن الموت ليس بعدم محض، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك: أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا، وإذا كان هذا في الشهداء، كان الأنبياء بذلك أحق وأولى، مع أنه قد صح عن النبي ﷺ : «أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء» وأن النبي ﷺ قد اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس، وفي السماء، وخصوصا بموسى وقد أخبرنا النبي ﷺ بما يقتضي أن الله تبارك وتعالى يرد عليه روحه حتى يرد السلام على كل من يسلم عليه، إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غُيبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن =

---

(١) أخرجه البخاري [٢٤١١]، ومسلم [٢٣٧٣/ ١٦٠] عن أبي هريرة رضي الله عنه.

❁❁❁

= كانوا موجودين أحياء، وذلك كالحال في الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله بكرامة من أوليائه. وإذا تقرر أنهم أحياء فإذا نفخ في الصور نفخة الصعق صُعق كل من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فأما صعق غير الأنبياء فموت. وأما صعق الأنبياء، فالأظهر: أنه غشية.

فإذا نفخ في الصور نفخة البعث، فمن مَات حيي ومن غُشي عليه أفاق. وكذلك قال ﷺ في صحيح مسلم والبخاري: «فأكون أول من يفيق»[1] وهي رواية صحيحة وحسنة فنبينا ﷺ أول من يخرج من قبره قبل الناس كلهم قبل الأنبياء وغيرهم إلا موسى فإنه حصل له فيه تردد: هل بُعث قبله من غشيته أو بقي على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعق مفيقاً؛ لأنه حوسب بغشية الطور؟ وهذه فضيلة عظيمة في حق موسى عليه السلام. ولا يلزم من فضيلة أحد الأمرين المشكوك فيهما فضيلة موسى عليه السلام على محمد ﷺ مطلقاً، لأن الشيء الجزئي لا يُوجب أمراً كليًا . والله أعلم.

التذكرة [١/ ١٩٧: ١٩٩].

(١) سبق تخريجه.

obeikandl.com

النفخ في الصور في القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يس].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿. . . وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق].

obeikan.com

وقال تعالى: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «الناقور»: الصور. ذكره البخاري في صحيحه.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النازعات].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «الرجفة»: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية. ذكره البخاري في صحيحه[1].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس].

قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾: لعله اسم للنفخة في الصور.

وقال البغوي في قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ يعني: صيحة القيامة، سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع؛ أي: تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها.

---

(١) أخرج البخاري [٥/ ٢٣٨٨ ـ باب ٤٣ ـ النفخ في الصور] وقال ابن عباس: الناقور: «الصور»، الراجفة: «النفخة الأولى». والرادفة: «النفخة الثانية».

obeikandl.com

حديث جامع في النفخ في الصور والبعث والنشور

ذكر عبد الله بن أحمد في زوائد المسند أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق.

قال لقيط: فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ لانسلاخ رجب فأتينا رسول الله ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيباً، فقال: «أيها الناس! ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لأسمعنكم، ألا فهل من امرئ بعثه قومه؟

فقالوا: اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ، ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال، ألا إني مسؤول: هل بلغت؟ ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا، ألا اجلسوا».

قال: فجلس الناس، وقمت أنا وصاحبي، حتى إذا فَرَّغَ لنا فؤاده وبصره؛ قلت: يا رسول الله! ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله، وهزَّ رأسه وعلم أني أبتغي لسَقَطِهِ. فقال:

«ضنَّ ربك عزَّ وجلَّ بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله ـ وأشار بيده ـ.

قلت: وما هي؟

قال: «عِلْم المنية؛ قد علم منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلم المنيّ حين يكون في الرحم؛ قد علمه ولا تعلمونه، وعلم ما في غد؛ قد علم ما أنت طاعم غداً ولا تعلمه، وعلم يوم الغيث يشرف عليكم آزلين آزلين مشفقين، فيظل يضحك، قد علم أن غِيَرَكُمْ إلى قُرْبٍ».

قال لقيط: قلت: لن نعدم من رب يضحك خيراً. «وعلم يوم الساعة».

قلت: يا رسول الله! علمنا مما تعلم الناس وما تعلم؛ فإنا من قبيل لا

يصدقون تصديقنا أحد؛ من مذحج التي تَرْبَأُ علينا، وخثعم التي توالينا، وعشيرتنا التي نحن منها.

قال: «تلبثون ما لبثتم، ثم يتوفى نبيكم ﷺ، ثم تلبثون ما لبثتم، ثم تبعث الصائحة، لعمر إلهك ما تدع على ظهرها من شيء إلا مات، والملائكة الذين مع ربك عزَّ وجلَّ، فأصبح ربك عزَّ وجلَّ يطوف في الأرض، وخلت عليه البلاد، فأرسل ربك عزَّ وجلَّ السماء تهضب من عند العرش، فلعمر إلهك؛ ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تجعله من عند رأسه، فيستوي جالساً، فيقول ربك: مَهْيَم، لما كان فيه.

يقول: يا رب! أمس، اليوم. ولعهده بالحياة يحسبه حديثاً بأهله».

فقلت: يا رسول الله، كيف يجمعنا بعدما تُمزّقنا الرياح والبلى والسباع؟! قال: «أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله؛ الأرض أشرفت عليها وهي مَدَرَة بالية، فقلت: لا تحيا أبداً، ثم أرسل ربك عزَّ وجلَّ عليها السماء، فلم تلبث عليك إلا أياماً حتى أشرفت عليها وهي شَرَبَةٌ واحدة، ولعمر إلهك؛ لهو أقدر على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع نبات الأرض، فيخرجون من الأضْوَاء ومن مصارعهم، فتنظرون إليه وينظر إليكم».

قال: قلت: يا رسول الله! وكيف ونحن ملء الأرض، وهو شخص واحد ننظر إليه وينظر إلينا؟! قال: «أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله عزَّ وجلَّ، الشمس والقمر آية منه صغيرة، ترونهما ويريانكم ساعة واحدة، لاتضارون في رؤيتهما، ولعمر إلهك؛ لهو أقدر على أن يراكم وترونه من أن ترونهما ويريانكم، لا تضارون في رؤيتهما».

قلت: يا رسول الله! فما يفعل بنا ربنا عزَّ وجلَّ إذا لقيناه؟ قال: «تعرضون عليه بادية له صفحاتكم، لا يخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك عزَّ وجلَّ بيده غرفة من الماء، فينضح قِبِيلَكُم بها، فلعمر إلهك؛ ما تخطئ وجه أحدكم منها قطرة، فأما المسلم؛ فتدع وجهه مثل الرَّيْطة البيضاء، وأما الكافر؛ فتخطمه بمثل الحميم الأسود، ألا ثم ينصرف نبيكم ﷺ، ويفترق على إثره الصالحون، فيسلكون جسراً من النار فيطأ أحدكم الجمر، فيقول: حَسّ، يقول ربك عزَّ وجلَّ أو أنه.

ألا فتطلعون على حوض الرسول على أظمإ ـ والله ـ ناهلةٍ قط ما رأيتها؛ فلعمر إلهك؛ ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع عليه قدح يطهّره من الطَّوْف والبول

والأذى، وتحبس الشمس والقمر ولا ترون منهما واحداً». قال: قلت: يا رسول اللّه! فبم نبصر؟

قال: «بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك قبل طلوع الشمس في يوم أشرقت الأرض واجهت به الجبال».

قال: قلت: يا رسول اللّه! فبم نجزى من سيئاتنا وحسناتنا؟

قال: «الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها؛ إلا أن يعفو».

قال: قلت: يا رسول اللّه! أما الجنة وأما النار؟.

قال: «لعمر إلهك؛ إن للنار لسبعة أبواب، ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً، وإن للجنة لثمانية أبواب، ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً».

قلت: يا رسول اللّه، فعلام نطلع من الجنة؟ قال: «على أنهار من عسل مصفى، وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، وبفاكهة لعمر إلهك ما تعلمون، وخير من مثله معه، وأزواج مطهرة».

قلت: يا رسول اللّه، أولنا فيها أزواج، أومنهن مصلحات؟ قال: «الصالحات للصالحين، تلذُّونهم مثل لذاتكم في الدنيا، ويلذذن بكم غير أن لا توالد».

قال لقيط: فقلت: أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه؟ فلم يجبه النبي ﷺ.

قلت: يا رسول اللّه! علام أبايعك؟ قال: فبسط النبي ﷺ يده، وقال: « على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وزِيال المشرك، وأنْ لا تشرك باللّه إلهاً غيره».

قلت: وإنَّ لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فقبض النبي ﷺ يده، وظن أني مشترط شيئاً لا يعطينيه.

قال: قلت: نحلُّ منها حيث شئنا، ولا يجني امرؤ إلا على نفسه. فبسط يده، وقال: «ذلك لك، تحلُّ حيث شئت، ولا يجني عليك إلا نفسك».

قال: فانصرفنا عنه، ثم قال: «إن هذين لعمر إلهك مِنْ أتقي الناس في الأولى والآخرة».

obeikandl.com

فقال له كعب بن الْخَداريَّةِ أحد بني بكر بن كلاب: من هم يا رسول اللَّه؟

قال: «بنو المنتفق أهل ذلك».

قال: فانصرفنا، وأقبلت عليه، فقلت: يا رسول اللَّه، هل لأحد ممَّن مضى من خير في جاهليتهم؟

قال: قال رجل من عرض قريش: واللَّه؛ إن أباك المنتفق لفي النار.

قال: فلكأنه وقع حر بين جلدي ووجهي ولحمي مما قال لأبي على رؤوس الناس، فهممت أن أقول: وأبوك يا رسول اللَّه؟ ثم إذا الأخرى أجمل.

فقلت: يا رسول اللَّه! وأهلك؟ قال: «وأهلي، لعمر اللَّه؛ ما أتيت عليه من قبر عامري أو قرشي من مشرك؛ فقل: أرسلني إليك محمد؛ فأبشرك بما يسوؤك؛ تجر على وجهك وبطنك في النار».

قال: قلت: يا رسول اللَّه! ما فعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه وكانوا يحسبون أنهم مصلحون؟

قال: «ذلك لأن اللَّه عزَّ وجلَّ بعث في آخر كل سبع أمم ـ يعني ـ: نبيًا، فمن عصى نبيه؛ كان من الضالين، ومن أطاع نبيه؛ كان من المهتدين»[1].

شرح غريب الحديث، قال العلامة حمود التويجري:

وقوله: «يشرف عليكم آزلين»: قال ابن الأثير: الأزل: الشدة والضيق، وقد أزل الرجل يأزل أزلاً؛ أي: صار في ضيق وجدب.

وقال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى في الكلام على حديث أبي رزين رضي اللَّه

(١) رواه أحمد في المسند [٤/ ١٣]، ورواه أيضاً في كتاب السنة [٩٥١]؛ والطبراني بنحوه. قال الهيثمي [١٠/ ٣٤٠]: وأحد طريقي عبد اللَّه إسنادها متصل ورجالها ثقات، والإسناد الآخر وإسناد الطبراني مرسل من عاصم لقيط أن لقيطاً..»، وذكره الألباني في الصحيحة [٢٨١٠] وحسنه بعد وقوفه على طرقه، وقال رحمة اللَّه تعالى عليه: «والخلاصة أن الحديث بمجموع الطريقين حسن عندي ولعله الذي يعنيه ابن تيمية بقوله: حديث حسن، في العقيدة الواسطية بخلاف ابن القيم فقد صحح الحديث بطوله في زاد المعاد في الوفود وقال: هذا حديث كبير جليل تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة. وقد خالف الأرناؤوط ذلك في تعليقه على المسند [٢٦/ ١٢٨] وقال: إسناده ضعيف، مسلسل بالمجاهيل، ووصف تحسين الشيخ الألباني له بأنه تساهل غير مرضٍ عند الحذاق في هذا الفن.

عنه: الأزل؛ بسكون الزاي: الشدة، والأزِل على وزن كَتِف: هو الذي قد أصابه الأزل واشتد به حتى كاد يقنط ا.هـ.

وقوله: «وقد علم أن غِيَرَكم إلى قرب»: «الغِيَر»؛ بكسر الغين وفتح الياء: تغير الحال وانتقالها من القحط والجذب إلى نزول الغيث وخروج النبات من الأرض.

وقوله: «ثم تبعث الصائحة»؛ أي: النفخ في الصور؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٥].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: ثم تبعث الصائحة: هي صيحة البعث ونفخته.

قلت: وفي هذا نظر؛ لأن النبي ﷺ قال: «ثم تبعث الصائحة، لعمر إلهك؛ ما تدع على ظهرها من شيء إلا مات». وهذا صريح في أن الصيحة صيحة الصعق لا صيحة البعث. والله أعلم.

وقوله: «تهضب»: قال ابن الأثير: أي: تمطر، ويجمع على أهضاب ثم أهاضيب؛ كقول وأقوال وأقاويل.

وقوله: «حتى تخلفه من عند رأسه»: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هو من أخلف الزرع إذا نبت بعد حصاده شبه النشأة الأخرى بعد الموت بإخلاف الزرع بعدما حصد، وتلك الخلفة من عند رأسه كما ينبت الزرع ا.هـ.

ويقال: أخلف الأراك والسلم إذا أخرج الخلفة، وهو ورق يخرج بعد الورق الأول في الصيف، وأخلف الخزامى؛ أي: طلعت خلفته من أصوله بالمطر.

وقوله: «فيستوى جالساً»: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هذا عند تمام خلقته وكمال حياته، ثم يقوم بعد جلوسه قائماً، ثم يساق إلى موقف القيامة إما راكباً وإما ماشياً ا.هـ.

وقوله: «فيقول ربك مَهْيَم»؛ أي: ما الأمر والشأن؟

قال ابن الأثير: وهي كلمة يمانية، ومنه حديث لقيط: فيستوى جالساً، فيقول: رب مَهْيَم.

وقوله: «في آلاء الله»: قال ابن الأثير: الآلاء: النعم. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: آلاؤه: نعمه وآياته التي تَعَرَّف بها إلى عباده ا.هـ.

obeikandl.com

وقوله: «وهي مَدَرَة بالية»؛ أي: تراب يابس.

وقوله: «شَرَبة واحدة» قال ابن الأثير: الشربة؛ بفتح الراء: حوض يكون في أصل النخلة وحولها، يملأ ماء لتشربه، ومنه حديث لقيط: «ثم أشرفت عليها وهي شربة واحدة». وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «الشَّرَبة؛ بفتح الراء: الحوض الذي يجتمع فيه الماء، وبالسكون: الحنطة؛ يريد أن الماء قد كثر، فمن حيث شئت تشرب، وعلى رواية السكون يكون قد شبه الأرض في خضرتها بالنبات بخضرة الحنطة واستوائها ا.هـ.

وقوله: «فتخرجون من الأصْوَاء»: قال ابن الأثير: «الأصْوَاء: القبور، وأصلها من الصوى: الأعلام، فشبه القبور بها».

وقوله: «لا تضارون في رؤيتهما»: قال ابن الأثير: يروى بالتشديد والتخفيف؛ فالتشديد بمعنى: لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر إليه لوضوحه وظهوره، يقال: ضارَّه يضاره؛ مثل: ضرَّه يضرُّه.

وقال الجوهري: يقال: أضرني فلان إذا دنا مني دنوًا شديداً، فأراد بالمضارة: الاجتماع والازدحام عند النظر إليه، وأما التخفيف؛ فهو من الضير لغة من الضر، والمعنى فيه كالأول.

وقوله: «مثل الرَّيْطَة البيضاء»: قال ابن الأثير: الرَّيْطَة: كل مُلاءة ليست بلفقين، وقيل: كل ثوب رقيق لين، والجمع: رَيْطٌ ورياط.

وقوله: «بمثل الحُمَم الأسود»: قال ابن الأثير: الحُمَمَة: الفحمة، وجمعها حُمَم.

وقوله: «ثم ينصرف نبيكم»: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هذا انصراف من موقف القيامة إلى الجنة.

وقوله: «ويفرق على أثره الصالحون». قال ابن القيم: أي: يفزعون ويمضون على أثره» ا.هـ.

وقوله: «فيسلكون جسراً من النار». الجسر: هو الصراط المنصوب على متن جهنم.

وقوله: «فيقول: حَسّ»: قال ابن الأثير: هي بكسر السين والتشديد، كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مَضَّه وأحرقه غفلة؛ كالجمرة، والضربة، ونحوهما ا.هـ.

قال الأصمعي: وهي مثل أوّه.

وقوله: «يقول ربك عزَّ وجلَّ: أو أنه»: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: قال ابن قتيبة: فيه قولان: أحدهما أن يكون «أنه» بمعنى نعم، والآخر أن يكون الخبر محذوفاً، كأنه قال: أنتم كذلك، أو أنه على ما تقول ا.هـ.

وقوله: «على أظمأ ناهلة قط»: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الناهلة: العطاش الواردون الماء؛ أي: يردونه أظمأ ما هم عليه، وهذا يناسب أن يكون بعد الصراط؛ فإنه جسر النار، وقد وردوها كلهم، فلما قطعوه؛ اشتد ظمأهم إلى الماء، فوردوا حوضه ﷺ كما وردوه في موقف القيامة» انتهى.

وقوله: «ويطهره من الطَّوْف»: قال ابن الأثير: الطَّوْف: الحدث من الطعام، والمعنى: أن من شرب تلك الشربة طهر من الحدث والأذى. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: الطَّوْف: الغائط، وفي الحديث: «لا يصلي أحدكم وهو يدافع الطَّوْف والبول»[1] ا.هـ.

وقوله: «وتحبس الشمس والقمر»، وفي بعض الروايات: «وتخنس الشمس والقمر». قال ابن القيم رحمه الله تعالى: أي: يختفيان ويحبسان ولا يريان، والانخناس: التواري والاختفاء، ومنه قول أبي هريرة: «فانخنست منه» ا.هـ.

وقوله: «وزيال المشرك»: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: أي: مفارقته ومعاداته، فلا يجاوره ولا يواليه؛ كما جاء في الحديث الذي في «السنن»: «لا تراءى ناراهما»؛ يعني: المسلمين والمشركين ا هـ.

من فوائد الحديث:

قال العلامة التويجري: وإذا علم أن حديث أبي رزين لا مطعن فيه بوجه من الوجوه؛ فليعلم أيضاً أنه قد اشتمل على ثلاث وأربعين فائدة مهمة، منها ما يشهد له القرآن والأحاديث الصحيحة، ومنها ما يشهد له القرآن فقط، ومنها ما تشهد له الأحاديث الصحيحة فقط:

١ ـ أن رسول الله ﷺ مسؤول يوم القيامة عن تبليغ الرسالة.

٢ ـ الرد على الذين يدعون علم المغيبات في المستقبل، وربما ادعى بعضهم علم

---

(١) وروى أحمد في المسند [٢/ ٤٤٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقومن أحدكم إلى الصلاة وبه أذى» يعني: البول والغائط.
وقال الأرناؤوط: صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد ضعيف.

obeikandl.com

ما يكون بعد ملايين السنين، فيصدقه الجهال وينشرون كذبه وجهله في جرائدهم ومجلاتهم.

٣ ـ إثبات صفة الضحك لله تعالى، والذي عليه أهل السنة والجماعة إثبات صفة الضحك لله تعالى كما يليق بجلاله.

٤ ـ ذكر الصائحة، وهي النفخ في الصور.

٥ ـ جواز الإقسام بصفات الله تعالى، وانعقاد اليمين بها.

٦ ـ ذكر موت الخلق إذا نفخ في الصور، وموت الملائكة أيضاً.

٧ ـ إثبات انفراد الله تعالى بالبقاء بعد موت الخلق.

٨ ـ ذكر إرسال المطر من عند العرش لينبت منه الخلق.

٩ ـ إثبات البعث بعد الموت.

١٠ ـ إن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يخوضون[1] في دقائق المسائل، ويسألون النبي ﷺ عما أشكل عليهم.

١١ـ ذكر الدليل على إحياء الموتى وجمعهم بعد التفرق، وضرب المثل لذلك بإحياء الأرض بعد موتها.

١٢ ـ ١٣ إثبات القياس في أدلة التوحيد والمعاد، وأن حكم الشيء حكم نظيره.

١٤ ـ إثبات رؤية الله تعالى في الدار الآخرة، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

١٥ ـ إثبات صفة النظر لله عزّ وجلّ.

١٦ ـ إطلاق الشخص على الله تعالى. قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام على حديث أبي رزين رضي الله عنه:

وقوله: «كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد؟!» قد جاء هذا في هذا الحديث وفي قوله في حديث آخر: «لا شخص أغير من الله».

١٧ ـ أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى.

١٨ ـ إثبات العرض على الله يوم القيامة.

١٩ ـ إثبات صفة اليد لله تعالى.

---

(١) خاض القوم في الحديث خوضاً: تفاوضوا فيه.

المعجم الوسيط [٢٦٢].

obeikandl.com

٢٠ ـ إثبات صفة الفعل لله تعالى.

٢١ ـ تبييض وجوه المسلمين يوم القيامة وتسويد وجوه الكافرين.

٢٢ ـ إثبات الصراط ومرور الخلق عليه.

٢٣ ـ إثبات كلام الرب تبارك وتعالى لمن شاء في الدار الآخرة.

٢٤ ـ تطهير أهل الجنة من الطَّوف ـ وهو الغائط ـ ومن البول والأذى.

٢٥ ـ حبس الشمس والقمر يوم القيامة.

٢٦ ـ إثبات الجزاء بالحسنات والسيئات.

٢٧ ـ إثبات وجود الجنة والنار.

٢٨ ـ ذكر أبواب الجنة وأبواب النار وما بين كل بابين من بعد المسافة.

٢٩ ـ إثبات نعيم الجنة.

٣٠ ـ إثبات الجماع في الجنة.

٣١ ـ أنه ليس في الجنة توالد.

٣٢ ـ ترك الجواب لمن سأل عن الغيب الذي لا يعلمه إلا اللَّه تعالى.

٣٣ ـ المبايعة على التوحيد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومفارقة المشركين.

٣٤ ـ أنه لا يجني جان إلا على نفسه.

٣٥ ـ الثناء على من يستحق الثناء.

٣٦ ـ فيه فضيلة لأبي رزين وصاحبه؛ حيث حلف النبي ﷺ أنهما من أتقى الناس في الأولى والأخرة.

٣٧ ـ حسن الأدب مع الأكابر.

٣٨ ـ القطع لكل مشرك بالنار.

٣٩ ـ سماع أهل القبور وكلام الأحياء.

٤٠ ـ أن طاعة الأنبياء هداية، ومعصيتهم ضلالة وهذا معلوم من الدين.

إتحاف الجماعة [٣/ ٢٨٥ ـ ٣٥٢] بتصرف.

obeikandl.com